نحو الأمة تناضل لتحقيق أهداف الأمة العربية في
الوحدة والحرية والاشتراكية .

الكتابة العربية في العصر الجاهلي وطريقة التعلم

الدكتور
احمد خطاب العمر
رئيس قسم اللغة العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

تمهيد :

لم يكن العربي في العصر الجاهلي أمياً، يعيش في صحرائه المترامية الاطراف، لايعرف عن الحياة شيئاً، يرحل فيها طلباً للماء والعشب، فاذا فقدهما مات في صحرائه فذهب مع الغابرين، بل التاريخ يذكر ان العرب كان لهم كيان مستقل، فأنشأوا دولهم في أرضهم، وتركوا في اطرافها آثاراً كثيرة، تدل على عظم ذلك الكيان وتلك الحضارة الرائعة، وحفظ لنا أسماء أمرائهم وملوكهم في اليمن وفي تدمر وفي الحيرة وفي وسط الجزيرة — دولة كندة — بل لقد ذكر أن شمرين اقليفيش الحميري هو الذي سميت «سمرقند» باسمه اذ كان قد غزاها بخمسمائة ألف وهدمها فقالوا «شمركند» أي شمر هدمها، ثم وصل اليها ملك تبع الأقرن بن أبي مالك فأمر بعمارتها (١)

ولايعقل الا تكون لهذه الدول مواثيقها وعهودها، وهي ذات صلة وثيقة مع الدول الأخرى، كالأحباش والفرس والروم.

وإلى جانب هذا نجد أسماء الكثيرين من الكهنة والأطباء والمترجمين، وأسماء الأسواق الأدبية التي كانوا يقيمونها في مواضع مختلفة من تلك الجزيرة في دومة الجندل، وسوق هجر بالبحرين وعمان ثم المشفر ثم صحار بالشحر وعكاظ على عدد أشهر السنة، وماكان يسود تلك الأسواق من أخلاق عالية وروح انسانية رائعة، كل ذلك يدل على حضارة انسانية وتطور ملحوظ في حياة الناس مما يمكننا ازاءها أن نتصور إسهام معارفهم وعلومهم في تأصيل هذه الحضارة وارساء قواعدها وتثبيت أسسها. ومن هنا نستطيع أن نحكم أن هذه الأمة، قد عرفت الكتابة وانتشرت في كافة أنحاء الجزيرة، وهي أهم مظهر من مظاهر الحضارة التي تأصلت في ديارهم.

وسنتتبع المظان التي تناولت هذا المظهر، ونستعرض أقوال عدد من المستشرقين ومن تابعهم الذين كانوا يوهنون شأن اهتمام العرب بها، ويقولون

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٦٢٩، ومعجم البلدان ٢٤٧/٣.

انها متأثرة بالآراميه، فهي غير أصليه، وانهم يضعون الحواجز بين كتابة الجنوب وكتابة الشمال. ليجردوا هذه الأمة من كل أثر للحضارة، بدعوى أن الحضارات الأولى إنما مصادرها غير أرض العرب، وهو منطلق يلجون من خلاله إلى هدم الآمال التي يريدها العرب اليوم، فيكون عاملا يدفع إلى اليأس فيحول دون التقدم والرقي.

وسنستعرض النصوص الدالة على انتشار الكتابة في كل أنحاء الجزيرة، ونذكر طرق انتشارها وتعليمها، لنثبت للقارىء معالم الحضارة العربية في العصور المتقدمة من تاريخها. ونثبت أصالة وضع الكتابة العربية.

انتشار الكتابة العربية :

الكتابة آلة الحضارة بها تسجل المواثيق والعهود، وبها تعالج قضايا الناس الاجتماعية، فلا غنى عنها في كل مجتمع اذن، ومنها المجتمع العربي وهنا لابد أن نلقي هذا السؤال: هل كانت الكتابة العربية منتشرة في الجزيرة العربية؟ والجواب عن ذلك: أن النصوص التي سنستعرضها تدل على ذلك، وقد مرت بأطوار عدة حتى أخذت شكلها الذي استقرت عليه، إلى ان ظهر الأسلام فزادها رسوخاً واستقراراً، وبها كان العربي في أنحاء جزيرته يكتب إلى غيره، ولكن بأية طريقة انتشرت وكيف كانت تنتقل ؟

ليس من المعيب ولابالمستنكر ان تتأثر أية حضارة باخرى، وتنتقل أفكار هذه إلى تلك، وتستفيد هذه من تلك، ولكن أن تستغل قلة النصوص المكتشفة في الكتابة العربية، ليجرد العرب على أساسها من كل شخصية مستقلة، فهذا أمر لاتقبله النظرة العلمية المجردة، مع توفر نصوص كثيرة أوردتها كتب التاريخ تؤكد انتشارها وأصالتها، فالباحثون من الأوربيين، ومن تابعهم بأفكارهم، وقفوا من نشأة الكتابة العربية مواقف لاتقبلها الاصول المعروفة في البحث العلمي، وتتلخص آراؤهم بما يأتي :

١ ــ عدم تصديق الروايات العربية قطعاً أو التشكيك فيها .

٢ — الخط العربي لم يكن منتشراً في كل أنحاء الجزيرة العربية انتشاراً كبيراً .

٣ — لاعلاقة للكتابة العربية في جنوب الجزيرة مع الكتابة العربية في شمالها.

٤ — أنه لاأصالة للخط العربي وانما هو متأثر بالخط الآرامي ومستنبط منه. وهذه أقوالهم ننقلها هنا لتؤكد مالخصناه عنها: —

١ — قال بلاشير (٢): «لدينا وثائق كتابية قديمة تتيح لنا وهي قليلة مع الأسف، ولكنها ذات صفات مميزة جداً، أن تتبع انتقال الكتابة الآرامية العادية في خطوطها الكبرى نحو الكتابة العربية».

٢ — قال أدور براونلشر (٣): « ان اختلاف لغة جنوب بلاد العرب عن لغة الشماليين ليست بالأمر المستغرب، ولاسيما اذا علمنا أنلغة الجنوب ليست بلهجة عربية، بل هي لهجة سامية، بينما لهجات العربية الشمالية المختلفة أمكن توحيدها في لغة أدبية راقية» .

٣ — نقل بلاشبر رأي برجيه (٤) في«أن الخط العربي قد خرج قليلا بعد اجتيازه مراحل من التشويه التدريجي من كتابة السكان،الذين كانوا يحتلون شمال الجزيرة العربية في العصورالأولى للميلاد» وقال: « وكان النمط الذي تمت به التشويهات المذكورة هو النمط ذاته المنطبق على جميع طرق الكتابة المشتقة من الآرامية، إنها تشويهات تدريجية، أجدّ بها ودفعها في تيار الاستعمال طريقة الوصل بين الحروف التي نرى تطبيقاتها الأولى في نصوص تدمر وحوران» .

---

(٢) تاريخ الادب العربي ج١ ص٨٢ .

(٣) نقد كتاب في الشعر الجاهلي ص١٠٣ .

(٤) تاريخ الادب العربي ج١ ص ٨٦ .

٤ ـ قال الدكتور أنيس فريحة (٥) : « لن نزعجك بذكر جميع الروايات المختلفة التي ينسبونها إلى ابن عباس وغيره من الرواة والمحدثين، ولا إلى رواية ابن اسحاق، والواقدى، والبلاذري، وابن النديم، والمسعودي، والصولي، وغيرهم، على مافيها من متعة، ولكن نمرّ بك سراعاً ذاكرين نظرية يصر التقليد العربي توكيدها، وهي أن الخط العربي الشمالي مشتق من الخط العربي الجنوبي أي المسند ثم قال: «ونحن لانستطيع الركون إلى هذه النظرية التي لاتستند إلى التاريخ ، انها أقرب إلى الخرافة » .

وللرد على تلك الآراء ينبغي أن نستعرض ماجاءت به تلك المصادر من نصوص، لأنه قد وقر في أذهاننا أنها ثقة فيما تنقل لقربها من وقت وقوع الحدث، ولأن العرب كانوا يهتمون بتاريخهم فيروونه شفاها خلفا عن سلف، وهل من التجرد العلمي أن نرد المصادر العربية التي تتواتر في نقل الخبر؟ فان لم يصح كل ماترويه ، فلابد أن يكون كثير منه صحيحاً لايداخله الشك.

ومن هنا فاننا سننقل ماتفقت عليه معظم تلك المصادر، وهو انتشار الكتابة العربية في كل ناحية من نواحي الأرض العربية ، تعلموها ونشروها فجاء ذكر الكتابة والكتاب والصحيفة والمهارق والألواح في شعر كثير من شعرائهم وما ذلك الا أهم دليل من أدلة انتشارها ، قال الدكتور عبد الحكيم بلبع (٦) : «وانتشارها في الأوساط المتحضرة والمتبدية منها على السواء، ويذكر لنا الجاحظ في كتابه الحيوان مايدل على أن العرب الجاهليين قد عرفوا الكتابة واستخدموها يقول : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل أقطاع وكل اتفاق ، وكل أمان ، وكل عهد ، وعقد ، وكل جوار وحلف ،

---

(٥) الخط العربي ص٢٧ .

(٦) النثر الفني واثر الجاحظ فيه ص ١٢ .

ولتعظيم ذلك والثقة به والاستناد اليه كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيماً للأمر ، وتبعيداً من النسيان .

فلو تصفحنا دواوين شعرائهم لوجدنا كثرة ماذكروا في ذلك ، وقد شبهوا في شعرهم بصفحات الكتاب مما يدل على انتشاره ومعرفته وهذه أبيات ننقلها هنا منها قول عنترة (٧):

وفرضت للناس الكتابة فاحتذوا فيها مثالك والعلوم فرائض
واذا خططت فأنت غيث معشب واذا حسبت فأنت برق وامض

وقال تميم بن أبي مقبل العامري (٨):

منهن معروف آيات الكتاب وقد تعتاد تكذب ليلى ماتمنينا

وقال عبيد بن الأبرص :

لمن الدار أقفرت بالجناب غير نؤى ودمنة وكتاب

وقال عدي بن زيد :

تعرف أمس من لميس الطلل مثل الكتاب الدارس الأحول

وقال سلامة بن جندل :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق خلا عهده بين الصليب فمطرق

وقال زهير :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل فينقم

وقال عدي في وصف القلم :

له عنق مثل جذع السحو ق والاذن مصعنّة كالقلم (٩)

---

(٧) ادب الكتاب ص٢٤٠ .
(٨) ينظر مصادر الشعر الجاهلي من ص ٩٤ – ٩٩.
(٩) السحوق : الطويلة من النخل ،ومصعنة : منصوبة محددة .

وقال :

ما تبين من آياتها غير نؤي مثل خط بالقلم

وقال الزبرقان بن بدر :

هم يهلكون ويبقى بعدما صنعوا كأن آثارهم خطت بأقلام

وقال ابن مقبل :

بني عامر ماتأمرون بشاعر تخير بآيات الكتاب هجائياً

وقال لبيد (١٠) :

فمدافع الريان عري رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها

وقال المرقش :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم القلم

وقال شاعر من هذيل (١١):

فيها كتاب ذبر لمقترى يعرفه البهم ومن حشدوا

ثم انه قد جاء ذكر ذلك في معجمهم في مادة كتب قال ابن منظور (١٢): « والمكتب (بضم الميم وكسر التاء) المعلّم ، وقال اللحياني : هو المكتب لأنه كان معلماً ، والمبرد : المكتب (بفتح التاء) موضع التعليم ، والمكتب : المعلم وتكتبت الخيل : أى تجمعت ، ومنه قيل : كتبت الكتاب ، لأنه يجمع حرفاً إلى حرف ».

وهذا دليل آخر على معرفتها وانتشارها ، ثم تأتي الاخبار التي تنقل عن المتقدمين وصف تلك الكتب والكتابة ، وكثرة ترددها على ألسنهم فقد ذكر أن الزباء (١٣) كتبت إلى جذيمة وهو ببقة على شاطيء

---

(١٠) النثر الفني ص ١٢ والوحي : الكتابة، والسلام : ماكانوا يكتبون عليه من عظم او حجارة .

(١١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ١٧٨ .

(١٢) اللسان ٢/ ١٩٣، ١٩٤ (كتب)

(١٣) الكامل في التاريخ ج١ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

الفرات تدعوه اليها وكتب هو اليها أيضاً (١٤) و (النعمان بن المنذر) أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج ، وهي الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض .

وذكر ان الحارث بن عباد قد اعتزل الحرب فلم يشهدها ، فلما قتل جساس وهمام ابنا مرة ، حمل ابنه بجيرا على ناقته ، وكتب إلى مهلهل أنك قد أسرفت في القتل ، وأدركت ثأرك ، سوى ماقتلت من بني بكر ، وقد أرسلت ابني اليك فاما قتلته بأخيك وأصلحت بين الحيّين ، واما أطلقته وأصلحت ذات البين ، فلما وقف على كتابه أخذ بجيرا فقتله .

وان (١٥) عمرا أخا حسان بن تبان عندما أراد قتل حسان ، أشار أهل اليمن بقتله الا ذو رعين فانه نهاه عن ذلك ، فعمد إلى صحيفة فكتب فيها:

ألا من يشترى سهراً بنـــوم سعيد من يبيت قرير عين

وأما حمير غدرت وخـانت فمعذرة الأله لذي رعيـــن

وعثر (١٦) على جثة ذي جدن ملك حمير في صنعاء ، ووجد على رأسه لوح مسطور عليه شعر بلغة عربية فصحى ، والشعر هو :

مابال أهلـــك يـــاربـــاب خزرا كأنهـــم غضـــاب

ان زرت أهلـك أوعـــدوا وثهر دونهـــم كـــــلاب

وعثر في دير هند الكبرى (١٧) على كتابة: فيها بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو ، وكان هارون الرشيد زار هذا الدير وهو على طرف النجف ، فرأى في جانب حائط شيئا مكتوبا ، فدعا بسلم ، وأمر بقراءته وكان فيه مكتوب .

ان بني المنـــذر عـام انقضوا بحيث ساد البيعـــة الراهب

شر البقايا مـــن بقي بعدهـــم قلّ وذلّ جـــدّه خـــائـــب

(١٤) المصدر نفسه ج١ ص ٥٣٥ .

(١٥) المصدر نفسه ج١ ص٤٢٠ – ٤٢١ .

(١٦) نقص كتاب الشعر الجاهلي ص ١٧٨ نقلا عن الاغاني.)

(١٧) معجم البلدان ج ٢ ص ٥٤٢ .

وفي خزانة المأمون (١٨) كان كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم، في جلد أدم ، فيه ذكر حق عبدالمطلب من اهل مكة على فلان بن فلان الحميري قال : وكان الخط شبه خط النساء .

وعدي بن زيد (١٩) كان يعرف الكتب وقد ترك هو كتباً في التاريخ اعتمد عليها المسعودي، فقد قال عنه الجاحظ كان نصرانياً دياناً وترجماناً وصاحب كتب وكان من دهاة أهل ذلك الدهر .

وإن أمية بن أبي الصلت (٢٠) كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عزوجل وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء، ويأتي بألفاظ كثيرة لاتعرفها العرب يأخذها من الكتب المتقدمة .

ونقلت(٢١) أن سابور أراد أن يسير إلى اياد التي كانت تغير على السواد ، وكان لقيط الايادي عنده فكتب إلى اياد :

سلام في الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من اياد
بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سرق النفاد
أتاكم منهم سبعون ألفاً يزجون الكتائب كالجراد

فلم يقبلوا منه ، وداموا على الغارة فكتب اليهم :

أبلغ اياداً وخلل في سراتهم اني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا

وكان المتلمس (٢٢) ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة ، وكان كتب له ولطرفة إلى عامله في البحرين بقتلهما ، وكان وقع كتابه إلى غلام بالحيرة ليقرأه فقال له : أنت المتلمس ؟ قال : نعم ، قال : فالنجاة ، فقد أمر بقتلك، فنبذ الصحيفة في نهر الحيرة ، أما طرفة فقد قادته منيته فقتل .

---

(١٨) الفهرست ص٥ .
(١٩) مقدمة ديوانه ص١٤ ، ١٦ وينظر الحيوان ١٩٧/٤ .
(٢٠) الشعر والشعراء ج١ ص ٣٦٩ .
(٢١) الشعز والشعزاء ج ١ ص ١٢٩ ، والكامل في التاريخ ج١ ص٣٩٢ – ٣٩٤ .
(٢٢) الشعر والشعراء ج١ ص ١١٢ .

وأقام امرؤ القيس (٢٣) عند السموأل بن عادياء اليهودى ، فطلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ليوصله إلى قيصر ففعل ذلك ، وسار إلى الحارث فكتب له قيصر ، ولما عاد كتب اليه قيصر أني أرسلت اليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك فالبسها ، واكتب إلي بخبرك من منزل مُنزّل فلبسها امرؤ القيس فمات .

وأسلم (٢٤) بجير بن زهير بن أبي سلمى ولم يسلم كعب . فكتب كعب رسالة إلى أخيه قال فيها .

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا

فكتب بجير إلى كعب ، يخبره بأن الرسول (ص) قتل رجلا ممن كان يهجوه فلما ورد عليه الكتاب ، ضاقت عليه الأرض برحبها فقال قصيدته المشهورة . وجاء الاسلام (٢٥) وفي مكة سبعة عشر رجلا يعرف الكتابة هم : عمر ابن الخطاب وعلى بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة وأبو عبيدة وأبان بن سعيد وخالد بن سعيد وأبو حذيفة بن عتبة وحاطب بن عمرو والعلاء الحضرمي وأبو سلمة وعبدالله بن سعد وحويطب وأبو سفيان بن حرب ويزيد بن أبي سفيان ومعاوية وجهيم بن الصلت ، ومن النساء الشفاء بنت عبدالله العدوية وعائشة بنت سعد التي روي أنها تعلمت الكتابة عن أبيها ، وغيرها من النساء . ونقل البلاذري (٢٦) عن الواقدى قوله : كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلا وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول ، فجاء الاسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون هم : سعد بن عبادة والمنذر بن عمر وأبي بن كعب وزيد بن ثابت (كان يكتب بالعربية والعبرانية) . ورافع بن مالك ، وأسيد بن حضير بن معد

(٢٣) الكامل في التاريخ ج١ ص ٥١٨ .
(٢٤) الشعر والشعراء ج١ ص ٨٠ .
(٢٤) العقد الفريد ج ٤ ص١٤٨ واصل الخط العربي ص٦٣ عن البلاذري .
(٢٦) فتوح البلدان ج ٣ ص٥٨٣ .

ابن عدى البلوى وبشير بن سعد وسعد بن الربيع وأوس بن خولي وعبد الله ابن أبي ، وزاد القلقشندى (٢٧) أباعيسى بن كثير .وذكر ابن النديم (٢٨) أن من كتابهم أسيدبن أبي العيص ومما يؤكد أن العربية كانت منتشرة ما شرطه الرسول(ص) في فك أسرى بدر ، بأن يعلم الكتابة عشرة من صبيان المدينة .

هذا ما أشارت اليه هذه المصادر ، من أن العرب كانت قد انتشرت الكتابة بينهم في كل أطراف جزيرتهم ، يعرفها الرجال والنساء والصبيان .

كيف ظهرت الكتابة العربية اذن :

الكتابة العربية اذن كانت منتشرة في كل أنحاء الجزيرة العربية — كما عرضنا — ولكن المؤرخين من المستشرقين أو من تابعهم عندما يكتبون عنها، يضعون العلل والأسباب ،ليصوروا للقارىء أن العرب تبع لغيرهم في وضعها . وما العربية الا لهجة من لهجات السامية ،بدليل ان الكتابة في شمال الجزيرة هي غيرها في جنوبها ،لأن الشمالية تكتب بالحروف المتصلة ،أما الجنوبية فتكتب بالحروف المنفصلة، وبنوا حجتهم في ذلك على ما اكتشف من نصوص مكتوبة (٢٩) في أم الجمال غربي حوران ، وفي النمارة شرقي جبل الدروز ، وفي زبد في منطقة حلب ،وفي حرّان شمال غربي جبل الدروز . وخلصوا منها أنها تشبه الخطوط الآرامية فهي متأثرة بها اذن ، وبنوا نظريتهم على ذلك حتى إنهم مع اعترافهم بأن النبط عرب ، ولغتهم العربية ، قالوا إن الخط النبطي إنما هو غير العربي ،قال الدكتور أنيس فريحة (٣٠): « الأنباط شعب عربي كما يستدل من لغتهم ومن أسماء الأعلام الواردة في نقوشهم ،ولكنهم عرب وقعوا تحت تأثير الثقافة والحضارة الآرامية ،فجاء خطهم آرامياً ولغتهم مزيجاً من العربية والآرامية كما يظهر من نقش النمارة» .

---

(٢٧) صبح الأعشى ج٣ ص ١١ .

(٢٨) الفهرست ص٥ .

(٢٩) تاريخ الادب العربي ج١ ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٣٠) الخط العربي ص ٢٩ .

ولو استقرينا ماذكرته المصادر العربية لتبين الصلة القوية بين الكتابة العربية في شمال الجزيرة وجنوبها ، وانهما حتماً كانا من أصل واحد ، استناداً إلى ماذكرته تلك المصادر في نشأة الخط العربي وسنتناوله في عرضنا هذا بعد أن نتناول النظريات التي أوردتها المصادر العربية في بدايات وضع الخط العربي وهي (٣١) .

١ . ان وضع الخط العربي كان توقيفياً من الله سبحانه وتعالى، علمه آدم ثم انتشر بعد ذلك.

وقال ابن عبد ربه: «أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم..» وقيل انما هو إدريس وقيل ابنه وعن ابن عباس: أن اسماعيل ابن ابراهيم وجد كتاب العرب في لوح عن آدم فنشره فيما بعد ، وذكر الصولي: وقيل ان هؤلاء (يعني أبجد وهوز وحطي ..... الذين سنذكر أسماءهم، ونذكر ماأسند اليهم في ذلك) أخذوا كتاب اسماعيل ، فعملوا كتاباً يتعلم منه، لأن الاحاديث عنهم: أنهم استعربوا ووضعوا الكتاب العربي

٢ . هناك روايات أخرى تخرج عن هذا الاحتمال تذكر أن ستة هم الذين وضعوا الخط العربي وهم (٣٢): «أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت هم قوم من الجبلة الآخرة ، وكانوا نزولا عند عدنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس ، وحكي أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم فلما وجدوا حروفاً في الالفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بها، وسموها الروادف ، وهي التاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، وقال ابن النديم (٣٣): هم أبو جاد وهواز وحطي وكلمون وصعفص وقريسات ، وقال: «هذا من خط ابن الكوفي بهذا الشكل والاعراب» وقال : ثم قرأت بخط ابن أبي سعد على هذه الصورة وبهذا الاعراب: أبجاد وهواز....

---

(٣١) : ينظر في هذا العقد الفريد ج ٤ ص ١٥٦ ، ١٥٧ وادب الصولي ص ٢٩ ، وصبح الاعشى ج ٣ ص ٦ ، ٧ واصل الخط العربي وتطوره ص ١٩ — ٢١

(٣٢) : المصادر السابقة .

(٣٣) : الفهرس ص ٤ .

٣. وقيل (٣٤): أول من وضع الخط العربي كان نفيساً ونصراً وتميماً ودومة ولد اسماعيل.

٤. وعن ابن عباس (٣٥) أول من وضع الخط العربي ثلاثة رجال من بولان، وهي قبيلة سكنوا الأنبار، وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة، وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامربن حدرة، ويقال مروة وجدلة، فأما مرامر فوضع الصدر، وأما أسلم ففصل ووصل وأما عامر فوضع الاعجام.

٥. وقال ابن النديم (٣٦): قرأت في كتاب مكة لعمر بن شبة، وبخطه أخبرني قوم من علماء مصر قالوا: الذي كتب هذا العربي الحزم رجل من بني مخلد بن النضر بن كنانة: فكتب حينئذ العرب.

٦. ونقل القلقشندي (٣٧): وفي السيرة لابن هشام: إن أول من كتب الخط العربي حمير بن سبأ. علمه في المنام قال: وكانوا قبل ذلك يكتبون بالمسند.

٧. وقيل (٣٨): ان قوم عبد ضخم هم أول من كتب بالعربية ووضع حروف المعجم.

هذه عدد من الروايات أوردتها المصادر العربية في وضع الخط العربي تدل على أنهم اهتموا بذلك منذ أقدم العصور، فعالجوها وتتبعوا مايردهم عن المتقدمين في ذلك. وقد لانستطيع أن ننكر

---

(٣٤) : الفهرست ص ٥ ، العقد الفريد ج٤ ص ١٤٧ ، صبح الاعشى ج٣ ص٩ .

(٣٥) : الفهرست ص٤ العقد ج٤ ص ١٥٧ ، صبح الاعشى ج٣ ص٨ .

(٣٦) : الفهرست ص٤ ، صبح الاعشى ج٣ ص٩ .

(٣٧) : صبح الاعشى ج٣ ص ٩ .

(٣٨) : مروج الذهب ج٢ ص١٢٢ واصل الخط العربي وتطوره ص ٢١ .

أن للعاطفة الدينية أثرها في بعضها ، الا أنها لاتنفي أن وضعها كان من العرب وفي جزيرتهم فقد اتفقت كلها على ذلك .

طرق انتشارها

لقد استقرت الكتابة العربية في العصر الجاهلي على ما هي عليه ، ولم يدخل التطور في هجائيتها ،مما يدل على أنها قد مرت بعصور طويلة تطورت فيها، وأخذت شكلها النهائي فهجائية حروفها قد بقيت على ماروته المظان العربية في أول وضعها حتى يومنا هذا وهما :

١. الهجائية الأولى (٣٩): وهي أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت. ثم الروادف وهي : الثاء والخاء والذال والظاء والضاد والطاء والعين.

٢. الهجائية الأخرى (٤٠) : وهي حروف أ ، ب ، ت ، ث ..... وقد قال عنها المسعودي : وهي التسعة والعشرون حرفاً .

وليس مهماً في أن يكون أصلها الخط الشمالي أو الخط الجنوبي ، ولكنها انتشرت وعرفها الناس وظلوا يكتبون عليها إلى أن جاء الاسلام فأخذها كما هي ولم يغيرها ، ولكن رب سائل يسأل كيف انتشرت هذه الكتابة في الجزيرة العربية أو في خارجها قبل مجيء الاسلام ؟ والجواب عن هذا في الروايات التي سنذكرها في عرضنا هذا .

١. روى ابن خلدون بقوله : « كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميري ، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر ، نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بأرض

---

(٣٩) : العقد الفزيد ج٤ ص ١٥٧ ، ادب الكتاب ص ٢٩ .

(٤٠) : مروج الذهب ج٢ ص١٢٢ ، المحكم ص٢٦ وينظر أصل الخط العربي ص ٢١ .

(٤١) : مقدمة ابن خلدون ص ٤١٨ .

العراق ..... ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر .ويقال: إن الذى تعلم الكتابة هو سفيان بن أمية ، ويقال حرب بن أمية، وأخذها من أسلم بن سدرة ، وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من أياد أهل العراق يقول شاعرهم : —

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعاً والخط والقلم

وهو قول بعيد لان اياداً وان نزلوا ساحة العراق ،فلم يزالوا على شأنهم من البداوة ، والخط من الصنائع الحضرية،وانما معنى قول الشاعر : أنهم أقرب إلى الخط والقلم من العرب ، لقربهم من ساحة الأمصار وضواحيها، فالقول بأن أهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ، ولقنها الحيرة من التبابعة وحمير وهو الأليق من الأقوال .... ومن حمير تعلمت مصر الكتابة العربية الا أنهم لم يكونوا مجيدين شأن الصنائع اذا وقعت بالبدو .

٢.روى الداني (٤٢) عن زياد بن أنعم قال : قلت : لعبد الله بن عباس معاشر قريش ، هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه مااجتمع وتفرقون فيه ماافترق هجاء بالألف واللام والميم والشكل والقطع ، وما يكتب به اليوم قبل أن يبعث الله تعالى النبي (ص) قال : نعم ، قلت : فمن علمكم الكتاب ؟ قال : حرب بن أمية ، قلت : ممن علم حرب بن أمية ؟ قال : عبدالله بن جدعان ، قلت : فمن علم عبدالله بن جدعان ؟ قال أهل الأنبار ، قلت : ممن علم أهل الأنبار ؟ قال : طارىء طرأ من أرض اليمن من كندة : قلت فمن علم الطارئ ؟ قال :الجلجان بن المرهم كاتب هود (ص).

٣.روى ابن النديم (٤٣) : أن الذى حمل الكتابة إلى قريش بمكة هو أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة ، وقد قيل : حرب بن أمية ، وقيل ، أنه لما هدمت الكعبةقريش وجدوا في ركن من أركانها حجرا مكتوباً فيه: السلف ابن عبقر يقرأ على ربه السلام من رأس ثلاثة آلاف سنة .

---

(٤٢) : المحكم ص ٢٦ وينظر صبح الاعشى ج٣ ص ١٠ .

(٤٣) : الفهرست ص ٥ .

٤ــ روى ابن دريد (٤٤) عن بشر بن عبدالملك الذى علم خطنا هذا أهل الأنبار وكان اسمه الجزم ، وتعلمه من مرامر وأسلم بن جزرة ، وخرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب وعلم ابا سفيان هذا الخط ورجالاً من أهل مكة .

٥ ــ قال بلاشير (٤٥): قيل ان الثموديين واللحيانيين والصفويين(نسبة إلى جبل صفا وهي منطقة بركانية جنوب غرب دمشق) كانوا يستعملون حروفاً هجائية من أصل عربي جنوبي، ولذا كان هدف الثورة الكبرى التي حدثت منذ القرن السادس هجر هذه الطريقة الكتابية والاستعاضة عنها بأخرى مصدرها آرامي .

فالروايات المتقدمة كلها تذهب: إلى أن الخط العربي كانت صلته واضحة بالخط الحميري ، وأنه أصل الخطوط العربية كما نقلنا عن ابن خلدون قوله: ومن حمير أخذت مصر الكتابة العربية ،وما نقله الداني في رواية عن ابن عباس أنه من اليمن، وبهذا لايكون لرأي بلاشير والدكتور أنيس فريحة يوصل بينهما في أن مصدره آرامي، خاصة أن القرن السادس كان قريباً من بدء ظهور الدعوة الاسلامية التي سببت انتشار الخط العربي في كل أنحاء العالم فيما بعد ، وتسقط حجتهم التي كنا قد ذكرناها في أن الكتابة الشمالية ليست من الكتابة الجنوبية بدليل ان الجنوبية تكتب بالحروف المنفصلة ، والشمالية بالمتصلة ،فالروايات العربية قد أشارت إلى هذا، وذهبت إلى أن الخط العربي حينما وضع متصلا ومنفصلا. فقد ذكرنا رواية(٤٦) عن ابن عباس من أن مرامر وأسلم وعامرا اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة، وماورد (٤٧) من أن نفيساً ونصراً وتيماً ودومة بني اسماعيل قد وضعوا

(٤٤) الاشتقاق ص ٣٧٢ .
(٤٥) تاريخ الادب العربي مجلد ١ ص ٨٢ .
(٤٦) الفهرست ص ٤ ، ادب الكتاب ص٣٠ ،صبح الاعشى ج ٣ ص ٨.
(٤٧) العقد الفريد ج٤ ص ١٥٧ وصبح الاعشى ج ٣ ص ٩ .

كتاباً واحداً، وجعلوه سطراً واحداً موصول الحروف كلها غير متفرق ، ثم فرقه نبت وهميسع وقيذار » .

وذكر الداني (٤٨) عن ابن عباس قال: أول من نطق بالعربية فوضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتاباً واحداً مثل (بسما لله) الموصول حتى فرق بينه ولده اسماعيل بن ابراهيم، وروى الصولي عنه أيضاً(٤٩) « أول من وضع الكتابة العربية اسماعيل على لفظه ومنطقه فعلمه موصولا حتى فرق بينه ولده »

من كل مانقلنا يتبين لنا اصالة الكتابة العربية وانها واحدة في شمال الوطن العربي وجنوبه ،وليس للمستشرقين ومن تابعهم حجج مقبولة في ذلك . وليست لهم مصادر تؤيدهم ، سوى ماعثروا عليه من نصوص مكتوبة تمحلوا لها علة، أنها متأثرة بالآرامي ، فالدكتور أنيس فريحة مع اعترافه أنهما من أصل واحد، الا أنه يأبى الا أن يضع الفواصل بينهما قال: (٥٠) «وان كان هناك من شبه بين الخط السبأي وبين خط الحيرة ، فانما مرده إلى أن الخطين مشتقان من أصل واحد ،ولا ننسى أن الحرف السبأي يكتب منفصلا بينما الخط العربي يكتب متصلا » .

طريقة التعلم :

على الرغم من أن ما أشارت المصادر العربية اليه في معرفة العرب التعلم وطريقته قليل «الا أن تلك الاشارات القليلة قد تلقي الضوء على الطريق التي كانوا عليها في نشره، فالمعلم كان معروفاً عندهم وقد ذكر ابن حبيب (٥١)» من أشراف المعلمين في ذلك العصر :

بشر بن عبدالملك السكوني أخو أكيدر صاحب دومة الجندل .

وسفيان بن أمية بن عبد شمس

(٤٨) المحكم ص ٢٥ .
(٤٩) ادب الكتاب ص ٢٨ .
(٥٠) الخط العربي ص ٢٧ .
(٥١) المحبر ص ٤٧٥ .

وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة
وغيلان بن سلمة بن معتب الثقفي (مخضرم)
وعمرو بن زرارة بن عدي بن زيد (كان يسمى الكاتب)

كل ذلك يدل اذن على أنهم علموا أبناءهم ،ولكن الطريقة كانت غير معروفة الا أن هناك اشارات أيضاً ذكرتها تلك المصادر . فقد أشارت إلى أن عدداً من الآباء أو غيرهم كان يعلم بالطريقة الخاصة ، فقد نقلنا أن عائشة بنت سعد تعلمت الكتابة عن أبيها ،وروى (٥٢) أن حماد بن زيد علمته أمه الكتابة في بيت أبيه ،فكان حماد أول من كتب في بني أيوب ، وطلب حتى صار كاتب الملك النعمان الاكبر ، وعلم ابنه زيداً .

وذكرنا أن عبدالله بن جدعان علم حرب بن أمية وبشر بن عبد الملك علم أبا سفيان وكان تعلمه من مرمر وأسلم ،ثم تعلمه عمر بن الخطاب ومعاوية وجماعة من قريش .

هذه طريقة عرفت في العصر الجاهلي ،وهي طريقة التعليم الخاص ،ويبدو أنها كانت هي الطريقة المألوفة ،ولكن تشير المصادر أيضاً إلى وجود أماكن للتعليم سميت الكُتّاب ،فقد جاء في ترجمة عدي بن زيد (٥٣) انه طرحه أبوه في الكتاب حتى إذا حذق أرسله المرزبان مع ابنه شاهان مرد إلى كتاب الفارسية ،فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية ،وذكر(٥٤) عن خالد بن الوليد أنه عندما سار مر بعين تمر ووجد في كنيسة صبيانا يتعلمون الكتابة في قرية من قراها ،يقال لها :النقيرة ، وفيهم حمران مولى عثمان ابن عفان .

أما عن الطريقة التي كانوا يعلمون بها ،فان المصادر الجاهلية قد سكتت عن ذلك تماماً ولكن لعلنا نستطيع أن نتبين من نص ورد في زمن عمر بن الخطاب

(٥٢) الاغاني ج٢ ص ٩٨ .
(٥٣) الاغاني ج٣ ص ٩٩ ومقدمة ديوانه ص ١٥و١٦ .
(٥٤) معجم البلدان ج٥ ص ٣٠١ .

وهو أن أعرابياً جاء إلى المدينة ففرض عليه عمر تعلم القراءة والكتابة ،فلم يستطع، فقال في ذلك شعراً (٥٥) :

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات
كتاب الله في رق صحيح وآيات القران مفصلات
فخطوا لي أبا جاد وقالوا تعلم سعفصاً وقريشات
وما أنا والكتابة والتهجي وما خط البنين من البنات

فلعل التعلم كان في أنهم يعلمون الهجائية اولا،ثم يتعلم بعد ذلك كل شيء،ولعل هذه الطريقة قد ورثوها عن الاوائل ، ولم تتطور بدليل بقاء الطريقة نفسها في العصر العباسي إذ قال أبو نواس : (٥٦)

شادن يكتب في اللوح بتعليم هجاه
كلما خط أبا جاد قراه فمحاه

الخاتمة :

يتضح مما تقدم أن الكتابة العربية كانت منتشرة انتشاراً لابأس به في تلك العصور السحيقة في القدم ، في مواضع كثيرة في الجزيرة العربية ، خاصة المواضع الحضرية .وان وضع الخط العربي إنما كان أصيلا لم يتأثر العرب بغيرهم في ذلك .وان كان لايضير أمة أن تأخذ من أخرى .وحجج المستشرقين ومن تابعهم في أن الخط العربي إنما كان تقليداً للخط الآرامي — بدليل ماا كتشف من نصوص في أرض الشام حججٌ لايمكن الاطمئنان اليها لمجرد التشابه بين الخطين في أنهما كتبا بحروف متصلة ،مع أننا قد عرضنا في الروايات المتقدمة أن الخط العربي وضع منفصلا ومتصلا وهذا مايبين سبب كتابة العربية ،بالحروف المتصلة في تلك المكتشفات ،وقد قيل أن خط الجزم قد تطور عن الخط الحميري وهو الذي كان يكتب بالحروف المتصلة ، مما يضع أمام الباحث النقاط التي تدل على التواصل بين الكتابة العربية في مناطق الجزيرة العربية ،في عصورها

(٥٥) ادب الكتاب ص ٣٩ واصل الخط العربي ص ٢٢ .
(٥٦) ديوانه ص ٣٣١ .

حتى وصل إلى ماوصل اليه قبل ظهور الدعوة الاسلامية ،إذ كيف تأتى للجزيرة العربية أن تتوحد في كتابتها على سعة أرضها ،لو لم تحصل عملية امتزاج واختلاط ،وكيف حافظت على هجائيتها هذه العصور الطويلة لولم تكن أصيلة وغير متأثرة بغيرها ؟ وأخيراً إنّ هذه الاشارات تدل على قدم الكتابة العربية حتى وصلت إلى الحالة المستقرة التي وجدها الاسلام فنشرها على ماهي عليه ،من غير أن يغير صور حروفها أو عددها أو ترتيب هجائيتها.

المصادر والمراجع

أدب الكاتب لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي تحقيق : محمد بهجت الاثري مصر (١٣٤١هـ)

الاشتقاق لابن دريد تحقيق محمد عبد السلام هارون / مصر ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م

أصل الخط العربي وتطوره لسهيلة الجبوري : بغداد ١٩٧٧ .

الأغاني لابي الفرج الاصفهاني تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم مصر ١٣٩٠هـ/٩٧٥م

تاريخ الأدب العربي د . بلاشير ترجمة د . ابراهيم الكيلاني – دمشق ١٩٧٣

الخط العربي د . انيس فريحة الجامعة الامريكية بيروت ١٩٦١ .

ديوان أبي نواس تحقيق محمد عبد المجيد الغزالي بيروت مصورة عن نسخة مصر ١٩٥٣

ديوان عدي بن زيد تحقيق محمد جبار المعيبد – بغداد ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م

الشعر والشعراء لابن قتيبة ط٢ – بيروت : ١٩٦٩ .

صبح الأعشى للقلقشندي : نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية – مصر .

العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق الزين والانباري مصورة عن نسخة مصر ١٩٦٢

فتوح البلدان للبلاذري نشره د . صلاح الدين المنجد مصر ١٩٥٦

الفهرست لابن النديم – بيروت نسخة مصورة

الكامل في التاريخ – ابن الاثير بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م

اللسان لابن منظور مصورة عن طبعة بولاق .

المحبر لأبي جعفر محمد بن حبيب – بيروت .

المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني تحقيق د . عزة حسن دمشق / ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .
مروج الذهب للمسعودي .
مصادر الشعر الجاهلي د . ناصر الدين الأسد ط ٣ — مصر ١٩٦٦م .
المعارف ط ٢ لابن قتيبة تحقيق د . ثروت عكاشة مصر ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م
معجم البلدان — ياقوت الحموي — بيروت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .
مقدمة ابن خلدون دار البيان بلا تاريخ
النثر الفني وأثر الجاحظ فيه د . عبد الحكيم بلبع مصر ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م
نقض كتاب في الشعر الجاهلي — محمد الخضر حسين — القاهرة ١٣٤٥هـ.